١٣٠

المسيحية غير الطائفية –

مفرق آخر

تأليف: ج. ن. أرمسترونج

لقد وصلنا في هذا الحوار عن الطائفية إلى مفرق طريق آخر، حيث تفرقت وانقسمت القلوب الأمينة. يعتقد البعض بانه يمكن ممارسة المعمودية بالرش أو بالصب أو التغطيس، وبان تلك الممارسات مدعومة بالأسفار المقدسة. بينما ليس عند الذين يقومون بذلك سوء نية او شك في إخلاصهم، ولكني أعلم يقيناً بانهم قد أخطأوا. أني متأكد بان الله قد أوضح هذا الأمر تماماً بحيث ينبغي على القلوب الأمينة أن تتفق معاً، بعد الفحص الدقيق للهجة الروح القدس. «الله لا يُشْمَخ عليه» (غلاطية ٦: ٧)، وهو يتوسل إلينا لنكون واحداً؛ لهذا سنكون واحداً إن شئنا.

بما اننا منقادين بالروح القدس لنؤمن بان المعمودية هي شرط إلهي لغفران الخطايا، فيحسن لنا أن نبحث بجهد لمعناه لكي نخضع لربنا. بما ان كل قلب مهتدي إلى المسيح يريد أن يخضع للرب فمن الأهمية أن يحرص على أن يكون مرضي عنده (أنظر ٢ كورنثوس ٥: ٩). انه من الأهمية أيضاً لأن كل قلب أمين يريد أن يكون واحداً مع كل مؤمن صادق آخر. طبعاً لا يمكن أن نقول جميعنا قولاً واحداً ونكون كاملين في فكر واحد ورأي واحد بينما يعلم الواحد بان المعمودية هي بالرش، وآخر يعلم بانها بالتغطيس فقط. إذا كانت قلوبنا قويمة مع الله، وإذا أردنا أن نرضي المسيح، سنرغب في معرفة ما يعنيه ربنا بالكلمتين «معمودية» و«اعتمد»، ولا نقتنع أبداً حتى نعرف ما يعينيه الرب حقاً. لذلك لنفحص بدقة وعدل الكلمة التي استخدمها الرب.

علمني المدرسون في صغري بان الكلمات هي رموز للأفكار وبان الأفكار هي صور عقلية. إن كان هذا صحيحاً، فيكون إذا افتهم شخصين معنى كلمة ما يريا صورة واحدة لتلك الكلمة. على سبيل المثال، أفرض أنى كتبت على السبورة أمام عشر تلاميذ الكلمة «بقرة». إذا كان هؤلاء التلاميذ يعرفون معنى الكلمة «بقرة»، فأنهم سيرون في هذه الكلمة صورة حيوان، أي بقرة. ييصبح عند كل منهم صورة متماثلة. إذا رأى أحدهم في تلك الكلمة خروفاً بينما يراها اخرون على انها خنزيراً، ويرها آخرون أيضاً على انها دجاجة فسيفوت عليهم معناها ولا يتفقوا على معنى واحدا. خذ الكلمة «قفز» {على سبيل المثال}؛ أفرض أن أحد التلاميذ رأى فيها فعل الركض، ورأى آخر السير، وتصور آخر أيضاً انها الزحف. فسيفوت المعنى مرة أخرى على ثلاثتهم.

أفرض انني اوصيتُ من محل الأثاث على كرسي، ولكن صاحب المحل فهم بأن طلبي في كلمة «كرسي» هي سجادة. ماذا تكون النتيجة؟ طبعاً سيرسل إليَّ السجادة عوضاً عن الكرسي. أفرض أني أردت أن أطلب خروفاً من مزرعة المواشي والدواجن، ولكني كتبت على الطلب كلمة «ديك» بدلاً من «خروف». ماذا يعطيني صاحب المزرعة؟ يعطيني ديكاً طبعاً. سينهار عالم الأعمال كله في أسبوع واحد عند ممارسة النظرية القائلة: «نحن لا نرى الاشياء بطريقة متطابقة». الناس مشغولين يومياً تفصل بينهم

مئات الأميال، يشترون ويبيعون البضائع دون ان يكون بينهم سوء الفهم في طلب ما يدل على انهم لا يفهمون بعضهم بطريقة متطابقة. فلماذا لا يقوم هؤلاء الناس بأعمال مع السماء ويفهموا كلمة الله بطريقة مشابهة؟

استخدم يسوع الكلمة «عمّد» وهي فعل. لكي نفهم معناه، ينبغي أن نرَى الفعل الذي أراد يسوع أن يبينه. كلما رأينا العمل يتم بطريقة صحيحة، وجب علينا أن نراه بطريقة مطابقة. هذا ممكن بكل تأكيد إلا إذا استخدم يسوع كلمة غير واضحة المعنى؛ وفي تلك الحالة يكون يسوع نفسه هو المسؤول على عدم الاتفاق الذي في العالم بسبب ما يتم القيام به أثناء المعمودية.

ماذا تعني كلمته؟ الكلمة «عمّد» هي مترجمة من كلمة يونانية. ولم تكن كلمةَ حديثة الاستعمال بل قديمة. استخدمها اليونانيون دون تغير في المعنى لمئات من السنين. لو كانت قد كُتبت هذه الكلمة في الوقت الذي تكلم فيه يسوع على السبورة أمام آلاف من اليونانيين، لكان كلهم كاملين في فكر واحد ورأي واحد بما يختص بمعناها، «إذ يرونها بطريقة مماثلة». لكانوا قد افتهموا معنى هذه الكلمة بوضوح تام كما يفهم الناطقين بالعربية كلمة «بقرة». هكذا كانت كلمة المخلص محددة.

قال قودوين مؤلف معجم في قواعد اللغة اليونانية في رسالة إلى شاپرد بتاريخ ٧/٢٧/ ١٨٩٣م بما يختص بالـ«معمودية» (اليونانية: باپتيزو βαπτιζω): «لا أعلم عن الكلمة پابتيزو لا تجدها في المعاجم العادية. انها تعني «غمر»، او تغطيس – هي مأخوذة من صيغة الكلمة باپتو ولا أجد في استخدامها أي شيء غريب». ويقول قاموس ليدل وسكوت للغة اليونانية: «باپتيزو βαπτιζω: (١) يغطس في الماء أو تحت الماء ... (٢) يأخذ الخمر بغمس الكأس في الطاس».

وكان تعريف سوفوكلس للكلمة باپتيزو هو:: «يغمس؛ يغطس؛ يغوص». وكتب ثاير: «باپتيزو: (١) غطس بتكرار؛ يغوص». يتفق مع هؤلاء العلماء البارزين جميع علماء العالم. لم يفسر أي عالم معنى الكلمة باپتيزو بانها قد تعني «رش {الماء}» أو «صب {الماء}»، وهذا يعني بانه لم يجد أي عالم في كل بحثه في الأدب اليوناني أن الكلمة باپتيزو تعني «رش» أو «صب». لم يستخدمها أي يوناني أبداً لتعني أي من هذين المعنيين. ولكي نبين هذا قد نستشهد بالحقيقة الحية أن الكنيسة اليونانية لم تمارس أبداً «الرش» أو «الصب» كمعمودية. مع ان تلك الكنيسة تمارس معمودية الأطفال، إلا انها دائماً تغطس أطفالها عند المعمودية. هذه الكلمة واضحة جداً بين اليونانيين كالكلمة «غطس» في لغتنا. لا يرى الناطق بالعربية عملية الرش في الكلمة «غطس» كما لا يراها اليوناني في الكلمة «باپتيزو βαπτιζω».

ليس العلماء واليونانيون فقط هم الذين يوافقون على تعريف الكلمة التي استخدمها ربنا، بل حتى عامة الناس أيضاً. ليس هناك سبب أبداً للانقسامات في عالم المسيحية بسبب عملية المعمودية. إن كنا سنتوحد، لا يوجد ما يمنع وحدتنا الا محبتنا للطائفية.

«أبني كنيستي»

«فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له: طوبى يا سمعان بن يونا! إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦: ١٦-١٨).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧